وعن عائشة - أَنَّهَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَهُوَ يَخَافُ اللهَ قَالَ لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُ الَّذِي يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يُخَافُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ "(١)

وقال الفضيل بن عياض: يا سفيه ما أجهلك، لا ترضى أن تقول: أنا مؤمن حتى تقول: أنا مستكمل الإيمان، لا والله، لا يستكمل العبد الإيمان حتى يؤدى ما افترض الله عليه، ويجتنب ما حرم الله عليه، ويرضى بما قسم الله له، ثم يخاف مع ذلك ألا يتقبل منه "(٢).

قال بعض السلف فى قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧].

قال: « أعمال كانوا يحسبونها حسنات بدت لهم سيئات »

حقيقة النفاق الذي خافه السلف الكرام:

قبل أن أتحدث عن خوف السلف من النفاق لابد من أن تعرف ما هو النفاق الذي كانوا يخشونه، وما هو حقيقته عندهم:

النفاق نوعان: أكبر: يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل، وهو أن يُظهِر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.. وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به، لا يؤمن بأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولاً للناس، يهديهم بإذنه، وينذرهم بأسه، ويخوفهم عقابه.

---

(١) أحمد (٤٢/ ١٥٦رقم ٢٥٢٦٣)، و الترمذي (٥/ ٣٢٧رقم ٣١٧٥)
(٢) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال (١/ ١١٠)

وهذا النوع هو الذي قال فيه حذيفة كما أخرج ذلك البخاري عن حذيفة بن اليمان قال: إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي ﷺ كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون !

والأصغر: وهو النفاق العملي، وهو طريقٌ موصل إلى الأول وأصوله مذكورةٌ في قوله ﷺ:« **أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذا خَاصَمَ فَجَرَ** » متفقٌ عَلَيْهِ.

والنوعان يشتركان في: مخالفة الظاهر للباطن، والسر للعلانية، لكن المنافق نفاقا أكوبر: يُضمر الكفر ويظهر الإسلام، أو يكون مسلما يضمر الإسلام لكنه متلبس بشعبة من شعب النفاق الأكبر وهو لا يشعر، وأما المنافق نفاقا أصغر: فإنه يضمر المعصية ويظهر الطاعة، تختلف علانيته عن سره، وظاهره عن باطنه، يظهر للناس بوجه غير الذي ينطوي عليه سره.

والذي يعنينا هو النوع الثاني، وهذا ما يتنزل عليه غالب كلام السلف رضوان الله عليهم أجمعين، فهو الأشبه بحالهم وبتواضعهم وتحقيرهم لأنفسهم وشدة خوفهم من الله تعالى ، وتعظيمهم حق الله تعالى؛ ولا شك أن كلا النوعين خطير؛ لكن التحذير من النوع الثاني ـ أي: النفاق العملي ـ فإنه المرقاة للنوع الأول، وبإهماله وعدم علاجه يستقر في القلب فلا يزال بصاحبه حتى يخرجه من دائرة الإيمان بالكلية ويدخله في زمرة المنافقين الخُلَّص؛ ولأن التوبة من هذا النوع ـ أعني النفاق العملي ـ قريبة يسيرة بخلاف النوع الأول؛ فإن من تلبس به ـ عياذا بالله تعالى ـ لا يكاد ينجو منه، وهو محتاج إلى تصحيح إيمانه؛ بله الدخول في الإسلام من جديد !.

والحاصل أن ما أورده من كلمات للسلف في الخوف على أنفسهم من النفاق والتحذير منه؛ كلها دائرة ـ غالباً ـ حول النفاق العملي لا الاعتقادي.

فعن أبي رِبعِي حنظلة بنِ الربيعِ الأُسَيِّدِيِّ الكاتب أحدِ كتّاب رَسُول الله ﷺ، قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكر رضي الله عنه، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حنْظَلَةُ ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ ! قَالَ: سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ ؟! قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ يُذَكِّرُنَا بالجَنَّةِ وَالنَّارِ كأَنَّا رَأيَ عَيْنٍ فإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُول الله ﷺ عَافَسْنَا الأَزْواجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسينَا كَثِيراً، قَالَ أَبُو بكر رضي الله عنه: فَوَالله إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فانْطَلَقْتُ أَنَا وأَبُو بَكْر حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُول الله ﷺ. فقُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُول اللهِ ! فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: "وَمَا ذَاكَ ؟ " قُلْتُ: يَا رَسُول اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ والجَنَّةِ كأَنَّا رَأيَ العَيْن فإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْواجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسينَا كَثِيراً. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْر، لصَافَحَتْكُمُ الملائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، لَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وسَاعَةً**» ثَلاَثَ مَرَات(١).

وقول حنظلة " نافق حنظلة ": معناه: أنه خاف أن يكون قد وقع في النفاق؛ حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي صلى الله عليه و سلم، ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة؛ فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد، ومعاش الدنيا. وأصل النفاق: إظهار ما يكتم خلافه من الشر، فخاف

---

(١) أخرجه : مسلم (٨/ ٩٤ رقم : ٢٧٥٠) قوله " كأنا رأي عين " أي : كأنا نراهما.
عافسنا : أي مارسنا عنه وعالجنا .
والضيعات : جمع ضيعة، وهو معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة .

أن يكون ذلك نفاقا، فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس بنفاق، وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك، بل ساعة وساعة أي ساعة كذا وساعة كذا "(١)"

" يعني ساعة للرب عز وجل، وساعة مع الأهل والأولاد، وساعة للنفس حتى يعطي الإنسان لنفسه راحتها، ويعطي ذوي الحقوق حقوقهم. وهذا من عدل الشريعة الإسلامية وكمالها أن الله عز وجل له حق فيعطى حقه عز وجل، وكذلك للنفس حق فتعطى حقها، وللأهل حق فيعطون حقوقهم، وللزوار والضيوف حق فيعطون حقوقهم حتى يقوم الإنسان بجميع الحقوق التي عليه على وجه الراحة، ويتعبد لله عز وجل براحة؛ لأن الإنسان إذا أثقل على نفسه، وشدد عليها ملَّ وتعب وأضاع حقوقًا كثيرة "(٢)

وعن أبي عثمان النهدي، قال: سمعت عمر بن الخطاب، وهو على منبر رسول الله ﷺ أكثر من عدد أصابعي هذه وهو يقول:« إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم، قيل: وكيف يكون المنافق العليم ؟ قال: عالم اللسان جاهل القلب والعمل »

وقال عمر أيضًا: ما أخاف عليكم أحد رجلين: رجل مؤمن قد تبين إيمانه، ورجل كافر قد تبين كفره، ولكن أخاف عليكم منافقا يتعوذ بالإيمان ويعمل غيره".

وعن الأحنف بن قيس، قال: قدمت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاحتبسني عنده حولا فقال: يا أحنف إني قد بلوتك(٣) وخبرتك فرأيت علانيتك حسنة،

---

(١) تحفة الأحوذي (٧/ ١٨٤) ط. دار الكتب العلمية .
(٢) شرح رياض الصالحين (ص: ١٦٩)
(٣) أي : اختبرتك وامتحنتك .

وأنا أرجو أن تكون سريرتك على مثل علانيتك، وإنا كنا نتحدث: إنما يُهلِكُ هذه الأمةَ كلُّ منافقٍ عليمٍ"

وعن أبي يحيى، قال: سئل حذيفة: من المنافق ؟ قال: الذي يصف الإسلام، ولا يعمل به»(١)

وقال الحسن: من النفاق: اختلاف اللسان والقلب، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج"(٢)

وعنه قال: «كان يقال: النفاق اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج.

وكان يقال: أُسُّ النفاق الذي يبنى عليه النفاق: الكذب»(٣)

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « وأما النفاق: فالداء العضال الباطن، الذي يكون الرجل ممتلئًا منه وهو لا يشعر؛ فإنه أمر خفي على الناس، وكثيرًا ما يخفى على من تلبِّس به، فيزعم أنه مصلح وهو مفسد » (٤)

لقد سمع أسلافنا قول النبي ﷺ كما عند أحمد وغيره عن عمر بن الخطاب أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ**»(٥) فعند ذلك خافوا على أن أنفسهم أن يكون فيهم شيء من نفاق.

---

(١) صفة النفاق وذم المنافقين للفريابي [ص ٦٧]
(٢) صفة النفاق :
(٣) صفة النفاق وذم المنافقين للفريابي [ص ٥٠]
(٤) انظر: «مدارج السالكين» الجزء الأول من صحيفة رقم (٣١٣) إلى رقم (٣٢٣).
(٥) أحمد (١/ ٢٨٨رقم ١٤٣) .

قال ابن أبي مُليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل. ذكره البخاري(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ **تعالى:**(وقد جزم ـ يعني: أبا العالية ـ بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك فكأنه إجماع، وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم؛ بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقال ابن بطال: إنما خافوا لأنهم طالت أعمارهم حتى رأوا من التغير ما لم يعهدوه ولم يقدروا على إنكاره فخافوا أن يكونوا داهنوا بالسكوت)(٢)

وعن عمر بن الخطاب أنه قال لحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يا حذيفة! نشدتك بالله، هل سمَّاني لك رسول الله ﷺ منهم؟.. قال: لا، ولا أزكِّي بعدك أحدًا».

وسئل أبو رجاء العطاردي: « هل أدركتَ من أدركتَ من أصحاب رسول الله ﷺ يخشون النفاق ؟ فقال: نعم إني أدركتُ منهم بحمد الله صدراً حسناً، نعم شديداً، نعم شديداً » أي: كان يخافونه خوفاً شديداً، وأكدَّ هذا تنبيهاً على يقظتهم وعدم غفلتهم عن هذا الأمر.

---

(١) قال : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه .
قال الحافظ بن حجر (الفتح ١/ ١١١) (والصحابة الذين أدركوا ابن أبي مليكة من أجلهم: عائشة وأختها أسماء، وأم سلمة، والعبادلة الأربعة وأبو هريرة .. فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسن جماعة من أجل من هؤلاء، كعلي، وسعد بن أبي وقاص)
(٢) فتح الباري (١/ ١١١)

وعن معاوية بن قرة قال:« أن لا يكون فيّ نفاق أحب إليَّ من الدنيا وما فيها؛ كان عمر يخشاه وآمنه أنا ؟ » (١)

وعن جعفر بن حيان، قال: قيل للحسن:« إنهم يقولون: لا نفاق فقال الحسن: لأن أعلم أني بريء من النفاق أحب إلي من طلاع الأرض ذهبا»(٢)

وعن جبير بن نفير قال: دخلت على أبي الدرداء منزله بحمص فإذا هو قائم يصلي في مسجده فلما جلس يتشهد جعل يتعوذ بالله من النفاق فلما انصرف قلت: غفر الله لك يا أبا الدرداء ما أنت والنفاق؟ قال: « اللهم غفرا – ثلاثا – من يأمن البلاء؟ من يأمن البلاء؟ والله إن الرجل ليفتتن في ساعة فينقلب عن دينه»(٣)

وعن أم الدرداء، أن أبا الدرداء، كان إذا رأى الميت قد مات على حال صالحة قال: هنيئا له ليتني بذلك فقالت له أم الدرداء: لم تقول ذلك ؟ فقال: «هل تعلمين يا حمقاء أن الرجل يصبح مؤمنا ويمسي منافقا ؟ قالت: وكيف ؟ قال: يسلب إيمانه ولا يشعر لأنا لهذا بالموت أغبط مني لهذا بالبقاء في الصلاة والصيام»(٤)

---

(١) رواه الفريابي في "صفة النفاق " (٨٦)

(٢) صفة النفاق وذم المنافقين للفريابي [ص ٦٩]

(٣) البيهقي في الشعب (٢/ ٢٥٩)، و الفريابي في "صفة النفاق " (٧٤)، وصحح إسناده المحقق.

(٤) صفة النفاق وذم المنافقين للفريابي [ص ١١٠]

وعن أبي أيوب الأنصاري أنه كان يقول: « ليأتين على الرجل أحايين وما في جلده موضع إبرة من نفاق، وإنه ليأتي عليه أحايين وما في قلبه موضع إبرة من إيمان»(١)

والله إن هذا الكلام من هذا الصحابي الجليل ليُخيف قلبَ المؤمن الصادق؛ فمن يأمن على نفسه ؟ ومن يثق بقلبه ؟ نسألك اللهم ستراً وغَفْراً !.

وذُكر عن الحسن البصري أنه ذكر النفاق فقال: «ما أَمِنَه إلا منافق، ولا خافه إلا مؤمن !»

ولقد ذُكر عن بعض أصحابه أنه كان يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من خشوع النفاق.. قيل: وما خشوع النفاق؟.. قال: أن يُرى البدنُ خاشعًا، والقلب ليس بخاشع ».

وقال: « ما مضى مؤمن قطُّ ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن. وكان يقول: من لم يخفِ النفاق، فهو منافق ».

عن أبي إدريس الخولاني، أنه قال: «ما على ظهرها من بشر لا يخاف على إيمانه أن يذهب إلا ذهب »

وقال بلال بن سعد: «لا تكن وليا لله عز وجل في العلانية وعدوه في السر»(٢).

---

(١) صفة النفاق وذم المنافقين للفريابي [ص ٧٤]
(٢) رواه الفريابي في "صفة النفاق " (٩١)

وعن عبد الله بن عمرو، لما حضرته الوفاة قال: « انظروا فلانا – لرجل من قريش – فإني كنت قلتُ له في ابنتي قولاً كشبيهِ العِدَةِ(١) وما أحب أن ألقى الله عز وجل بثلث النفاق وأشهدكم أني قد زوجته » (٢)

والخوف من النفاق هو من جملة الخوف من مكر الله تعالى:

قال عبد اللّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنّه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال به هكذا »

قال الحسن البصريّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمن يعمل بالطّاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن »(٣)

وقال أحمد بن حنبل في كتاب الإيمان: « حدثنا روح بن عبادة حدثنا هشام سمعت الحسن يقول : والله ما مضى مؤمن ولا بقي إلا وهو يخاف النفاق وما أمنه إلا منافق انتهى

قال الشّوكانيّ عند قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾، قيل: مكر اللّه هنا هو استدراجه بالنّعمة والصّحّة، والأولى حمله على ما هو أعمّ من ذلك»(٤)

---

(١) أي : كشبيه الوعد، والمعنى : أنه يخيل له أن أعطاه وعداً بأن يزوجه ابنته، ولكنه وفَّى له بذلك، مع كونه غير متحقق من الوعد، كل ذلك خشية أن يقع في خُلف الوعد، فيكون قد وقع في شعبة من النفاق .

(٢) "صفة النفاق "ص

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٤).

(٤) فتح القدير (٢/ ٢٢٨).

تنبيه:

ومما يؤكد خطر النفاق: أن الكثير من شعب النفاق الأصغر قد عَمَّت وطَمَّت في مجتمعات المسلمين، كالكذب وخلف الوعد والرياء والخيانة، والجبن وترك الجهاد في سبيل الله تعالى وعدم تحديث النفس بذلك ومع أن هذا الخصال من النفاق الأصغر، لكنها قد تؤول إلى النفاق الأكبر المخرج من الملة.

بل استفحل الأمر وعظم النفاق حتى صرنا نشاهد صورًا وأنواعًا من النفاق الأكبر في بلاد المسلمين، ومن ذلك الاستهزاء بدين الله تعالى والفرح والسرور بانخفاض دين الإسلام وهزيمة المسلمين وكذا العكس...، والإعراض التام عن حكم الله تعالى ومظاهرة الكفار ضد المسلمين.